

الذكر

قال تعالى: ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»^(٢).

*** وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مائة فائدة للذكر ومنها:**

١. أنه براءة من النفاق.
٢. الذكر يعطي الذاكر قوة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "قد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر - يقصد أسبوع - وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً".

وقد علّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعلياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن يُسَبِّحا كل ليلة إذا أخذ مضاجعهما (ثلاث وثلاثين) ويحمدا (ثلاثاً وثلاثين) ويكبّرا (ثلاث وثلاثين) لما سأله الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن

(١) الأحزاب، الآية (٣٥).

(٢) رواه مسلم.

والسعي والخدمة، فعلمها ذلك. وقال: "إنه خير لكما من خادم" (١).

٣. أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه لكفى به ولهذا سُميت مجالس الذكر (رياض الجنة).

قال مالك بن دينار: "ما تُلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل".

٤. أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ (٢)، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرافاً.

٥. أن دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاء تكثير الشهود للعبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة وما يدل على ذلك سورة الزلزلة (٣). أ.هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "الذكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟".

قال ابن عون: "ذكر الناس داء، وذكر الله دواء".

وكان يحيى بن معاذ يقول: "حادثوا القلوب بذكر الله تعالى، فإنها سريعة الغفلة".

فاللسان لا بد له أن يتكلم إما خير أو شر أو مباح، فانظر لنفسك ألا تتكلم إلا بما يرضي ربك عز وجل وتجدّه في صحيفتك يوم القيامة، ومن

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) البقرة، الآية (١٥٢).

(٣) الوايل الصيب.

أعظم العقوبات الغفلة عن الذكر. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١).

وكلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة، فالذكر أنواع: ذكر مقيد، وذكر مطلق.

فالمقيد مثل: أدبار الصلوات - وأيام عشر ذي الحجة.
والذكر المطلق مثل: لا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله والحمد لله... الخ.

وأفضل أنواع الذكر: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم، فقد قال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله".
فلو خصصنا مقداراً يسيراً لقراءة القرآن كل يوم لنفعنا وزاد إيماننا وعشنا مع كلام الرحيم الرحمن، وذهبت عنا وساوس الشيطان وعشنا بسلام. قال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا أَنْفُسَهُمْ لَئِنْ قَرَأْتَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾^(٢).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "عند قوله تعالى: ﴿لَئِنْ قَرَأْتَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ أي: على مهل ليتدبروه ويتفكروا في معانيه ويستخرجوا علومه".



(١) الكهف، الآية (٢٨).

(٢) الإسراء، الآية (١٠٦).

الاستغفار

الاستغفار معناه: طلب المغفرة من الله.

قال الله عز وجل في الحديث القدسي: «يا ابن آدم أنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(١).

* أهمية الاستغفار:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإن العبد في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة يزداد علماً بالله وبصيرة في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرات، وطلب زيادة القوة في الأعمال القلبية والبدنية".

- أما المستغفر بلسانه: وهو متشبت بذنبه مقيم عليه مصر عليه بقلبه فهو كاذب في استغفاره، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه".

- الاستغفار في القرآن الكريم: لقد كثر ذكر الاستغفار في القرآن.

١. فتارة يأمر الله تعالى عباده به ويحثهم عليه ويحرضهم عليه، كقوله

عز وجل: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾^(٢)، وقوله تعالى:

﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾^(٣).

٢. وتارة يمدح أهله ويثني عليهم كقوله تعالى: ﴿الْصَّابِرِينَ

وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ

فَأَسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ وَمَنْ يُغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٦).

(١) البقرة، الآية (١٩٩).

(٢) هود، الآية (٣).

(٣) فصلت، الآية (٦).

(٤) آل عمران، الآية (١٧).

(٥) آل عمران، الآية (١٣٥).

(٦) الذاريات، الآية (١٨).

٣. وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١).

٤. وينادي الله تعالى عباده ويدعوهم إلى المسارعة إلى التوبة والرجوع إليه، فيقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾^(٣).

٥. ويحذر القرآن الكريم من اليأس والقنوط من رحمة الله، فيقول ربنا عز وجل: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٤)، ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥).

* الاستغفار شعار الأنبياء والصالحين:

١- فيها هو أبونا آدم وأمنا حواء -عليهما السلام- لما خالفا أمر الله عز وجل وأزلهما الشيطان، وأوقعهما في الخطأ، بادرا بالاستغفار والتوبة والندم ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦).

٢- وها هو نوح عليه السلام حين سأل الله أن ينجي ابنه، عد هذا السؤال ذنباً يوجب الاستغفار بل خشي من الخسران بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي

(١) النساء، الآية (١١٠).

(٢) آل عمران، الآية (١٣٣).

(٣) إبراهيم، الآية (١٠).

(٤) الحجر، الآية (٥٦).

(٥) يوسف، الآية (٨٧).

(٦) الأعراف، الآية (٢٣).

أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿١﴾.

٣- وقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَكَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ ﴿٢﴾.

٤- وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٤﴾.

٥- وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: يقول راجياً مغفرة مولاه معدداً أفضاله عليه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ ﴿٥﴾.

٦- ويونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ينادي في الظلمات بقوله: ﴿... لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٦﴾.

٧- وسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو فيقول: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا

(١) هود، الآية (٤٧).

(٢) نوح، الآية (٢٨).

(٣) القصص، الآية (١٦).

(٤) الأعراف، الآية (١٥١).

(٥) الشعراء، الآية (٧٨-٨٢).

(٦) الأنبياء، الآية (٨٧).

يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١﴾.

٨- وداود عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول الله عز وجل في شأنه: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنْمَا

فَنَنْتَهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ﴾ (٢).

٩- ويعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أتى أبنائه يطلبون المغفرة: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا

اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾﴾ (٣).

١٠- ونبينا محمد ﷺ يقول: «والله، أني لأستغفر الله وأتوب إليه
في اليوم أكثر من سبعين مرة» (٤).

١١- وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول للرسول ﷺ: يا رسول الله،
علمني دعاءً أدعوه به في صلاتي، فيعلمه رسول الله ﷺ أن يقول:
«اللَّهُمَّ أَنِي ظَلَمْتُ نَفْسِي. ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفُرْ لِي
مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (٥).

١٢- وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "يطلب من الرسول ﷺ أن يستغفر له،
فيقول: يا رسول الله، استغفر لي" (٦).

١٣- وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: "إني لأستغفر الله وأتوب إليه،
كل يوم ألف مرة، وذلك على قدر ديتي، وكان يقول لعلمان الكتاب

(١) ص، الآية (٣٥).

(٢) ص، الآية (٢٤).

(٣) يوسف، الآية (٩٧، ٩٨).

(٤) رواه البخاري.

(٥) متفق عليه.

(٦) متفق عليه.

قولوا: اللهم اغفر لأبي هريرة، فيؤمّن على دعائهم".

*** ثمرات الاستغفار وفوائده:**

إن للاستغفار ثمرات جليلة وفوائد عديدة منها:

١. تكفير السيئات ورفع الدرجات. قال الله سبحانه تعالى: ﴿وَمَنْ

يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾.

وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم»^(٢). بل إن الله تعالى ينادي عباده في الثلث الأخير من الليل قائلاً: «من يستغفرني فأغفر له... الحديث»^(٣).

٢- يرفع العبد من المقام الأدنى إلى المقام الأعلى، ومن الناقص إلى التام، ومن المكروه إلى المحبوب، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة. فيقول: يا رب، أني لي هذه! فيقول: باستغفار ولدك لك»^(٤).

أما كون الاستغفار سبب لرفع البلاء، فقد قال الله عز وجل في شأن نبيه يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ ۖ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾^(٥). ووصف تسميحه في آية أخرى بأنه: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُدْرِكُ الْغُيُوبَ﴾.

(١) النساء، الآية (١١٠).

(۲) رواہ مسلم.

(۳) متفق علیہ.

(٤) رواه أحمد.

(٥) الصافات، الآية (١٤٣، ١٤٤).

إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

٣- أنه سبب جلب الرزق وسعته والإمداد بالأموال والبنين، كما قال عز وجل عن نوح أنه قال لقومه: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾. وقال تعالى: ﴿وَأِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَهُمْ مَنَاسِكَتًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿١٣﴾﴾. (٣).

وشكا رجل إلى الحسن البصري الجذب، فقال له: "استغفر الله"، وشكا رجل آخر الفقر، فقال له: "أستغفر الله"، وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: "أستغفر الله"، فقالوا له في ذلك: أذاك رجال يشكون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟! فقال: ما قلت من عندي شيئاً، أن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾. (٤).

٤- أنه سبب لجلاء القلب وبياضه وصفائه ونقاؤه: فالذنوب تترك أثاراً سيئة وسواداً على القلب، والاستغفار يمحي الذنب وأثره ويزيل ما علق بالقلب من سواد، وما قد ران عليه من ذنوب ومعاصي وقد صور النبي ﷺ هذه الحالة فقال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ نُكْتُ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ

(١) الأنبياء، الآية (٧٨).

(٢) نوح، الآية (١١، ١٢).

(٣) هود، الآية (٣).

(٤) نوح، الآية (١٠، ١٢).

سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وأن عاد زيد فيها حتى تعلوا على قلبه وهو الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١)(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» (٣).

٥- أنه سبب لحصول القوة في البدن، كما قال تعالى على لسان هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٤).

٦- أنه يجلب رضا الله تعالى ومحبته، وكفا بذلك نعمة. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٥).

٧- أنه سبب في تفريج الهموم؛ لقول النبي ﷺ: «من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب» (٦).

*** أوقات ومواطن يُستحب فيها الاستغفار:**

الاستغفار والتوبة مشروعان في كل وقت وحين كما قال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط

(١) المطففين، الآية (١٤).

(٢) رواه أحمد، والترمذي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) هود، الآية (٥٢).

(٥) البقرة، الآية (٢٢٢).

(٦) رواه أحمد.

يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»^(١)، إلا أن هناك أوقات أرجى من أوقات، ومواطن أبلغ في الإجابة وأقرب إليها من مواطن، ومن هذه الأوقات والمواطن ما يلي:

١. عقب الذنب: وهو من أكد المواضع التي يستحب فيها الاستغفار ويشرع بل ويجب، وهو هنا اعتراف من العبد بالذنب، وسؤال الله أن يمحو أثره ويغسل درنه، وقد قال آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوجه حينما عصيا الله: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

وحين قتل موسى رجل لم يؤمر بقتله قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

ويونس حينما ذهب غاضباً وغادر قومه قال: ﴿... لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، وقد قال ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يا عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله، فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار»^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ

(١) رواه مسلم.

(٢) الأعراف، الآية (٢٣).

(٣) القصص، الآية (١٦).

(٤) الأنبياء، الآية (٨٧).

(٥) رواه أحمد.

يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٢﴾.

٢- عقب الطاعات: ولا بن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كلام يقول فيه: "وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفاراً عقيب الطاعات، لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لولا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية ولا رضيها لنفسه... وكان ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» ﴿٣﴾. ويأمر الله عباده بالاستغفار بعد الفراغ من الحج يقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤﴾.

وكان ﷺ يختم مجالسه بالاستغفار، فعن أبي برزة الأسلمي قال: كان رسول الله ﷺ يقول بآخره إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» ﴿٥﴾. وقد كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك» ﴿٦﴾.

٣- في الأذكار اليومية الراجعة: فادعية الصلاة كثيراً ما يرد فيها الاستغفار، ومن ذلك: دعاء الاستفتاح، وأدعية الركوع، والسجود وبين

(١) آل عمران، الآية (١٣٥).

(٢) النساء، الآية (١١٠).

(٣) رواه مسلم.

(٤) البقرة، الآية (١٩٩).

(٥) رواه أبو دواد.

(٦) رواه الخمسة.

السجدين، فالاستغفار يصاحبه المسلم في صلاته من حين تكبيرة الإحرام، وحتى ينتهي من صلاته بل وبعد الانتهاء منها.

٤- وهناك أوقات ومواضع أخرى يستحب الاستغفار فيها ومن ذلك:

أ- وقت السحر قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(١)، وقال: ﴿وَالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٢).

ب- عند الخسوف والكسوف، فقد قال ﷺ: «إذا رأيتم شيئاً من ذلك - يعني الخسوف أو الكسوف - فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره»^(٣).

ج- وعند التقلب على الفراش ليلاً فعن عباده بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «من تعارَّ من الليل وفي آخره. قال: اللهم اغفر لي، أو دعا؛ استجيب له، فإن توضأ؛ قبلت صلاته»^(٤).

د- وعند القيام من الليل للتهجد، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «... وفيه: فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»^(٥).

(١) آل عمران، الآية (١٧).

(٢) الداريات، الآية (١٨).

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري.

(٥) متفق عليه.

* بعض صيغ الاستغفار في القرآن والسنة:

وردت صيغ كثيرة للاستغفار في القرآن والسنة:

١. فمن القرآن:

- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١).
- ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾^(٢).
- ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).
- ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٤).
- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾^(٥).
- ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(٦).
٢. ومن السنة النبوية:

سيد الاستغفار وهو: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت،

(١) القصص، الآية (١٦).

(٢) المؤمنون، الآية (١١٨).

(٣) آل عمران، الآية (١٤٧).

(٤) آل عمران، الآية (١٦).

(٥) نوح، الآية (٢٨).

(٦) آل عمران، الآية (١٩٣).

أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(١).

«رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»
 «رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله ، وما أنت اعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»^(٢).



(١) رواه البخاري (٦٣٠٦).

(٢) رواه البخاري (٦٣٩٨).

وبراً بوالدتي

الأم صاحبة القلب الكبير، التي لا تستغني عن فراق أبنائها عنها، سهرت الليالي من أجلهم، والاعتناء بهم، وتستبشر عندما يكبر طفلها، ويبدأ بالاعتماد على نفسه في قضاء حوائجه، وتخزن لحزنه، وعندما يبلغ السابعة من عمره، تبدأ تفكر لمستقبله، وتقول في نفسها: "ولدي سيكون إن شاء الله معلماً أو مهندساً... الخ"، وعندما يصبح رجلاً مازال في عينها طفلاً سبحانه الله!.

ودليل ذلك: عندما يتأخر عن حضوره للمنزل تقلق ولا تستريح حتى يأتي، حقاً أنها ذو قلب كبير.

* حق الأم:

ما عرف قدر الوالدين إلا الله عز وجل في قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ﴾^(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي لا تسمعهما قولاً سيئاً، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ". أ. هـ.

وحق الأم أعظم من حق الأب كما هو معروف في الحديث الذي رواه البخاري، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال ثم

من؟ قال: «أبوك».

ومن فضل الأم عليك أنها حملتك في بطنها تسعة أشهر، ما بين ثقل بدني وثقل نفسي.

* الفرق بين الطاعة والبر.

الطاعة: هي الاستجابة للأوامر التي تطلب منك.
أما البر، جزء من الطاعة وهو تلبية رغبات الوالدين دون أمرهم بذلك.

إلى من يقدم طلب الزوجة على الأم أهمس في أذنك وأقول الزوجة بدلاً منها زوجة أخرى، لكن الأم هل سيكون لك أمًا أخرى؟
فالعَدل والإنصاف واجب في كلا الأمرين، لكن لا يقدم طلب الزوجة على الأم إذا توافقا في وقت واحد.
* من صور البر.

١. عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجلٌ يقال له: أويس وله والده، وكان به بياض فمُرُوهُ فليستغفر لكم»^(١).

٢. أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: "أن لي أمًا بلغ بها الكبر، وأنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها وأوضئها وأصرف وجهي عنها. أي: عند وضوئها، فهل أديت حقها؟ قال: لا. قال: أليس قد حملتها على ظهري، وحبست نفسي عليها؟ قال: أنها كانت تصنع

ذلك بك، وهي تتمنى بقاءك؛ وأنت تتمنى فراقها" (١).

٣. قال رجل لعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "حملت أُمِّي على رقبتني من خراسان حتى قضيت بها المناسك أتراني جزيتها. قال: لا، ولا طلبة من طلقاتها" (٢).

٤. عن بندار قال: "أردت الخروج -يعني السفر- في طلب الحديث فمَنَعَتْنِي أُمِّي، فأطعتها، ولم أخرج فبورك لي فيه" (٣).

٥. عن أبي حازم: "أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يحج حتى ماتت أمه" (٤).

٦. قال محمد بن المنكدر: "بَتُّ أَعْمَزِ رَجُلٍ أُمِّي، وبات أخي عمر يصلي، وما يسرنني في ليلتي بليته" (٥).

٧. عن علي بن الحسين: "أنه قيل له أنت من أبر الناس ولا نراك تأكل مع أمك؟ قال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما قد سبق إليه عينها، فأكون قد عققتها" (٦).

٨. عن أبي بكر بن عياش قال: "ربما كنت مع منصور في منزله جالساً فتصيح به أمه وكانت غليظة. فتقول: يا منصور يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى؟! وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها" (٧).

(١) بر الوالدين، لابن الجوزي.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) تاريخ بغداد.

(٤) مكارم الأخلاق.

(٥) حلية الأولياء.

(٦) البر والصلة.

(٧) البر، لابن الجوزي.

* وصايا للأبناء.

١- استخدام العبارات الجميلة، مثل:

قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ. ﴿يَتَأَبَّاتٌ لَا تُعْبِدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾^(١).

وللأم يقال: يا حبيبتي أو يا أمّاه، أهلاً بالغالية، عندما تطلب حاجة يقال لها: ابشري أنا خادمك... الخ، من العبارات الجميلة.

٢- التواضع لهما ولين الجانب، وألا تُحدّق النظر فيهما، بل أنظر إليهما نظر رحمة وإشفاق، وعدم رفع الصوت عليهما.

٣- إخبارهما عند القيام بالسفر ولو كنت متزوجاً.

٤- استدعاهما عند إقامة أي وليمة لك.

٥- مشاورتهما في بعض الأمور.

٦- تبشيرهما بالأمور السارة.

٧- الدعاء لهما وهما على قيد الحياة وبعد الممات.

٨- إقامة وقف لهما إن تيسر ذلك.

٩- الهدية لهما.

١٠- جلسة يومية معهما.

١١- بذل المال لهما.

١٢- بر أصدقائهما.

١٣- تجنب إغضابهما.

(١) مريم، الآية (٤٤).

- ١٤ - إدخال السرور عليهما.
- ١٥ - الحديث معهما عن حياتهم في الماضي.
- ١٦ - عدم تقديم أي شيء على زيارتهما.
- ١٧ - وضع مناسبة تجلب الفرح لهما.
- ١٨ - أحذر...من عقوقهما.



شكر النعم

نعم الله عز وجل لا تعد ولا تحصى؛ فإذا تأملت في تكوين خلق جسمك وجدت إنك تنعم في نعم كثيرة، ومنها على سبيل المثال:

١. قال الله عز وجل ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١)، من الناس: من هو أعمى، وهذا أعرج، وهذا أصم وأبكم، وهذا معاق عن الحركة، وهذا عنده غسيل للكل، وهذا ضيق في التنفس، والآخر عنده مرض السكر... الخ. عافانا الله وإياكم وشفى جميع مرضى المسلمين.

يا من ينعم بصحته وقوته هل شكرت هذه النعم! قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(٢).

٢. نعمة الإسلام. قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

٣- نعمة العقيدة الصافية (عقيدة أهل السنة والجماعة).

٤- نعمة العقل: ميز الله عز وجل الإنسان من بين سائر المخلوقات بهذا العقل. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٤).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: "وهذا من كرمه عليهم وإحسانه،

(١) الذاريات، الآية (٢١).

(٢) سبأ، الآية (١٣).

(٣) المائدة، الآية (٣).

(٤) الإسراء، الآية (٧٠).

الذي لا يقدر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة". أ.هـ.

هل من يُذهب عقله بتناول المسكرات والمخدرات وغيرها يعتبر شاكرًا لنعمة العقل! نسأل الله السلامة والعافية.

٥- نعمة الأمن: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافي في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(١). بحذافيرها أي: كأنما أعطي الدنيا بأسرها.

٦- نعمة الصحة والفراغ: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس الصحة والفراغ»^(٢). الفراغ يعتبر نعمة إذا استغل استغلالاً يعود على صاحبه بالنفع، كأن: تصل رحمك، أو تساعد أهلَكَ في المنزل كما كان ﷺ يفعل ذلك، أو زيارة لمريض، أو قراءة كتاب نافع، أو إتباع جنازة... أو التقرب إلى الله عز وجل بفعل النوافل والأعمال الصالحة، والصلاة على النبي ﷺ... الخ من العبادات القولية والفعلية، لعلها ترفع درجتك ومنزلتك عند الله عز وجل، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

٧- نعمة وجود المسجد الحرام، والمسجد النبوي في هذه البلاد: متى أراد الشخص منا الذهاب لأداء المناسك الحج أو العمرة، بكل يسر وسهولة والحمد لله على ذلك، وغيرنا يجد مشقةً في ذلك إما بجمع

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٢) رواه البخاري.

شكر النعم

المال، أو بعد المسافة وعناء الطريق، ويذكر أحد الأشخاص أنه في بعض البلاد يقلل النفقة ليدخرها لأداء الحج أو العمرة.

٨- نعمة المأكّل والمشرب والملبس وعدم الإسراف. قال الله تعالى:

﴿يَبْقَىٰ ءَآدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١).

بعض من الناس عندما يقوم بوليمة تجده يسرف في كثرة أصناف المأكولات، ليست هذه المشكلة بل في النهاية توضع مع النفائات لماذا لا توزع على الجيران أو غيرهم من الفقراء، وإذا لم يوجد من يحتاج لتلك النعم يتصل على من يستقبلون فائض الطعام، أو وضعها في موضع يليق بها.

وأيضاً الملابس والأجهزة الكهربائية التي يستغنى عنها، تصرف لمستحقها. ففي هذه الحالة أدت شكر النعمة.

٩- نعمة توفر وسائل الاتصال والمواصلات.

١٠- نعمة التعليم للقرآن الكريم من بنين وبنات.

قال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تذهب النعم

* الفرق بين الحمد والشكر:

الحمد يكون باللسان وبالقلب، وأما الشكر فإنه يقع بالجوارح.

والنعمه مقيدة في الشكر، بوصولها إلى الشاكر بخلافها في الحمد^(١). أهـ.
بتصرف.

* من أقوال السلف في الشكر:

١. قال بكر المزني: "يا ابن آدم إن أردت تعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليك فأغمض عينيك"^(٢).
٢. عن أبي الدرداء قال: "كم نعمة لله في عرق ساكن؟"^(٣).
٣. قال أبو حازم سلمه بن دينار: "كل نعمة لا تقرب من الله عز وجل فهي بلية"^(٤).
٤. عن صالح بن الإمام أحمد بن حنبل قال: "كان أبي إذا أخرج الدلو ملأى. قال: الحمد لله، قلت يا أبت أي شيء الفائدة من هذا؟ قال: يا بني أما سمعت الله عز وجل ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾"^{(٥)(٦)}.
٥. عن أبي تيممة البصري: "أنه كان إذا قيل: كيف أنت؟ قال بين نعمتين ذنب مستور ولا يعلم به أحد، وثناء من هؤلاء الناس ما بلغته ولا أنا كذلك"^(٧).

(١) عدة الصابرين، لابن القيم.

(٢) الشعب (٤٤٦/٤).

(٣) الزهد، لأبي داود (٢٤٤).

(٤) الحلية (٣/٢٣٠).

(٥) الملك، الآية (٣٠).

(٦) الشعب (٤١٦٤).

(٧) الشعب (٤١٩٧).

علو الهمة

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ الهمة: "هي خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن من العلم والعمل".

الهمة في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(١).

الهمة في السنة النبوية، عن ربيعة بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "كُنْتُ أَبِيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ. فَقَالَ لِي: "سَلْ". فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: "أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ". قُلْتُ: هُوَ ذَلِكَ. قَالَ: "فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ"^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن من أثر الراحة فاتته الراحة وأن بحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشاق فتكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إن تعب العبد قليلاً استراح طويلاً وإذا تحمّل مشقة الصبر ساعة قاده حياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى، كان تعب البدن أوفر وحظه من الراحة أقل، كما قال المتنبي:

وإذا النفوس كن كباراً تعبت في مرادها الأجسام

(١) المؤمنون، الآية (٦١).

(٢) رواه مسلم.

* علو همة السلف في العلم والعبادة:

◆ في العلم:

١. قال البخاري - رحمه الله تعالى - وقد تعلم أصحاب النبي في كِبَرِ سنهم.

٢. وعن نعيم بن حماد قال: "قيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله".

٣. قال الذرنوجي: "دخل حسن بن زياد في التفقه وهو ابن ثمانين سنة".

٤. الجاحظ: "كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره أي كتاب كان".

◆ في العبادة:

١ - قيل لنافع: "ما كان ابن عمر يصنع في منزله؟ قال: الوضوء لكل صلاة، والمصحف بينهما".

٢ - عن حماد بن سلمة قال: "ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يُطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعاً، إن كان في ساعة صلاة وجدناه مُصلياً، وإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً أو عائداً أو متبعاً لجنائز أو قاعداً في المسجد. قال: فكنا نرى أنه لا يحسن يعصي الله عز وجل".

* من أسباب انحطاط الهمم:

الوهن - حب الدنيا وكراهية الموت - الفتور - إهدار الوقت
الثمين - العجز والكسل - الغفلة - التسويف والتمني.

* من أسباب الارتقاء بالهمة:

العلم والبصيرة - إرادة الآخرة وجعل الهموم هماً واحداً - كثرة ذكر
الموت - الدعاء - مجاهدة النفس - التحول عن البيئة المثبطة - صحبة أولي
الهمم العالية ومطالعة أخبارهم - المداومة والاستمرار في العمل.
يقول أحد علماء النفس: إن الفرق بين العباقة وغيرهم من الناس
العاديين ليس مرجعه إلى صفة أو موهبة فطرية للعقل، بل إلى
الموضوعات والغايات التي يوجهون إليها همهم وإلى درجة التركيز
التي يسعون أن يبلغوها.

وهذه القدرة تكتسب بالمرانة، والمرانة تتطلب الصبر، فإن الانتقال
من الشرود إلى حصر الذهن حصراً بيناً محكماً هو ثمرة الجهد الملح، فإن
استطعت أن ترد عقلك مرة بعد أخرى وخمسين مرة، ومائة مرة إلى
الموضوع الذي اعتزمت معالجته فإن الخواطر التي تنازعك لا تلبث أن
تخلي مكانها للموضوع الذي أثرته بالاختيار ثم تلقى نفسك آخر الأمر
قادراً على حصر ذهنك بإرادتك فيما تختار^(١). أ. هـ.



(١) روح الصلاة في الإسلام، للشيخ عفيف طيارة ص (٣٢).

السعادة

الإنسان منا في هذه الحياة يبحث عن السعادة لنفسه وأولاده، فمنهم من وجدها والآخر مازال يبحث عنها: تجد البعض قد قطع الأرحام، وهجر الإخوان، وشبع وجاره جوعان، وتمادى بالعصيان، وأمن المكر من العزيز الديان، وبخل بالابتسامة عند لقاء الإخوان، ولم ينفق ماله في وجه الإحسان، وآخر دائماً يغضب من الزوجة والولدان، ويتنقل بالسيارة بين كثران الرمال والوديان، ويرتحل بين الأوطان، وينام عن صلاة الفجر وما هو ييقظان، ولم يرطب فاهُ بذكر الواحد المنان، ولم يتلو كتاب الرحمن، وأشغل نفسه بكثرة الهذيان، ونسي أن معه ملكان، فهل السعادة تأتي بالإعراض عن ذكر الرحمن؟!.

لقد بين لنا رسول الله ﷺ السعادة الحقيقية وذلك بإتباع سنته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١).

* خطوات إلى السعادة:

- ١- قراءة القرآن مع التدبر لمعانيه.
- ٢- الذكر على كل حال وزمان.
- ٣- صلة الأرحام.

(١) الأحزاب، الآية (٢١).

- ٤- الهدية لقوله ﷺ: «تهادوا تحابوا»^(١).
- ٥- من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة^(٢).
- ٦- الإحسان إلى الخلق.
- ٧- الصدقة ولو بالشيء اليسير.
- ٨- العفو عن الناس.
- ٩- السلام. قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٣).
- ١٠- كثرة النوافل.
- ١١- مراقبه الله عز وجل في السر والعلانية.
- ١٢- لا تتدخل فيما لا يعنك.
- ١٣- النصيحة بين المسلمين.
- ١٤- الإصلاح بين المتخاصمين.
- ١٥- الإيثار بين الناس.
- ١٦- اجتناب الغضب.
- ١٧- المحبة في الله.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد. وقال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) ابن القيم.

(٣) رواه مسلم.

١٨ - عامل الناس كما تحب أن يعاملوك قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١).

١٩ - محاسبة النفس.

٢٠ - الدعاء.

٢١ - لزوم التقوى.

٢٢ - زيارة القبور قال ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»^(٢).

٢٣ - تغيير البرنامج اليومي في حياتك.

٢٤ - البقاء في المسجد ولو شيئاً يسيراً.

٢٥ - التحلي بالأخلاق الحميدة.

٢٦ - اجتناب الحسد: فالكريم يخفيه والليثيم يديه.

٢٧ - الرحمة بالحيوان.

٢٨ - طلب العلم والعمل بما علم.

٢٩ - حضور مجالس الذكر.

٣٠ - السفر لأداء العمرة، وزيارة المسجد النبوي.

* ماذا؟ قالوا عن السعادة:

ولست أرى السعادة جمع مالأً ولكن التقي هو السعيد

- قال بعض السلف: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من

السعادة لجالدونا عليه بالسيوف" ويقصد بذلك ما يجده من راحة

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

وطمأنينة ولذة وأنس من أثر الطاعة.

- يقول ابن القيم حدثني شيخنا -ابن تيمية- قال: "ابتدأ بي مرض، فقال لي الطبيب: إن مطالعتك، وكلامك في العلم يزيد المرض. فقلت له: لا اصبر على ذلك وأنا أحكمك إلى علمك: أليست النفس إذا فرحت وسرت؛ قويت الطبيعة، فدفعت المرض؟ فقال: بلى! فقلت له: فإن نفسي تُسر بالعلم، فتقوى به الطبيعة، فأجد راحة. فقال: هذا خارج عن علاجنا"^(١).

- ويقول الشيخ: علي بن عبدالله المشيقح^(٢): "عندما أحدث حديثاً للجماعة المسجد أحس كأن صدري مدهوناً بعسل". وذلك لما يجده في صدره من لذة وأنس.

- يقول د. عائض القرني: "قال بعض الفضلاء من المعاصرين: كنت إذا ضعفت في إيماني عدت إلى المجلد الأول في (الفتاوى) وقرأت تعظيم ابن تيمية لربه، ومدحه لمولاه، وكلامه عن قدرة خالقه سبحانه وتعالى وعن أسمائه وصفاته، بأسلوب عجيب يأخذ بمجامع القلوب، ويستولي على منافذ النفس، وهذا ملاحظ..."^(٣). انتهى بتصرف.



(١) روضة المحيين، لابن القيم.

(٢) إمام جامع السادة في مدينة بريدة سابقاً.

(٣) كتاب علي ساحل ابن تيمية، عائض القرني.